

قراءة في شعرية الهكان وعلاقته بالعناصر البنائية في ديوان في (البدء...كان أوراس) لعز الدين ميهوبي

ط/د.سارة محفوظ ط/د.فراجي كريهة

جامعة البويرة

المخلص:

إن الشعر أداة الشاعر الجزائري المعاصر للتعبير عن أحواله، ومن هنا يستثمر المبدع كل طاقاته الإبداعية و قدراته الفنية في عملية التعبير، لكي يشكل قالبا شعريا جميلا، فالشعر الجزائري المعاصر يرتبط بتقنيات فنية لا حصر لها إذ لا يخلو شعر ما من جوانب فنية حتى وإن كانت قليلة، إلا أنها تنعكس على النص الشعري بالإيجاب إذا وظفها الشاعر المبدع توظيفا ملائما، وعلى هذا الأساس سيتم تسليط الضوء على التوظيف الفني للمكان في النص الشعري، فانطلاقا من المنهج الوصفي التحليلي ما هي علاقة المكان بالتقنيات الفنية الأخرى؟

الكلمات المفتاحية:

المكان، التخيل، اللغة، الفضاء الدلالي، الرؤيا، الجمالية.

المخلص بالانجليزية:

Poetry is a tool of the contemporary Algerian poet to express his conditions, and from here the creator invests all his creative energies and artistic abilities in the process of expression, in order to form a beautiful poetry template, contemporary Algerian poetry is associated with countless artistic techniques, as the poetry is not free from technical aspects even Although they are few, they are reflected in the poetic text positively if the creative poet employs them appropriately, and on this basis will be highlighted the technical employment of the place in the poetic text, based on the descriptive analytical approach What is the relationship of the place with other technical techniques?

الكلمات المفتاح بالانجليزية:

Place, imagination, language, semantic space, vision, aesthetic

1 - مقدمة:

يعد المكان من أهم العناصر المهيمنة في القصيدة الجزائرية المعاصرة بحيث أعطى الشاعر الجزائري كامل الأهمية لهذا العنصر، باعتباره مرتبطا بذات الشاعر، ولكن المكان لا يأتي بمعزل عن العناصر الجمالية الأخرى، فلا يمكن أن يكون منفردا ذا وظيفة جمالية معزولة عن وظائف العناصر الأخرى، لأن وظائف العناصر البنائية الأخرى للنص الشعري تخدم جمالية المكان ووظيفته، فكل عنصر يؤدي وظيفة ما، وهذه الأخيرة تؤثر على المكان وتساعد الشاعر في التعبير عما يريد قوله، كاللغة مثلا فهي تحمل وظائف جملة، ولعل أهم وظيفة تقوم بها في النص الشعري هي الشعرية أو الجمالية.

كما يعد من أهم العناصر التي يرتقي بها النص الشعري إلى مصاف الجمالية، في الشعر العربي عامة و الجزائر خاصة، ونظرا لأهمية هذا العنصر في الشعر تعددت تعريفاته في النقد الحديث، وتنوعت كذلك مصطلحا ته ما بين المكان و الفضاء.

لقد شكل المكان أهمية بالغة في حياة الإنسان، فقد بدأت علاقته به منذ أن خلق الله الوجود و قال عز وجل لآدم « اسكن أنت و زوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما » (سورة البقرة/ الآية 35).

أما من حيث الدراسات، فقد اختلفت المفاهيم و الآراء حول المكان، فمن جهة يشير إلى البيت الذي ولد فيه الإنسان، أي بيت الطفولة المليء بالأحلام و الذكريات، أين يحس فيه بالحماية، وأين تشكل الخيال عنده(1)، وعلى هذا الأساس فالمكانية في الأدب هي " الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة"(2)،

فالاستعمار قديما سعى إلى محاربة اللغة العربية و تعويضها بالفرنسية(4).

نلمس عند عز الدين ميهوبي لمسة إسلامية عطرة، يقول :

تمام أمي و - بدر - في ضفارها و كم توارت عيون الأم في -أحد-!(5)

كان هدف الشاعر الجزائري الحفاظ على اللغة العربية في شعره، ولكن هذا لا يعني أنه مقيد في لغته، ففي البداية استلهم لغته و أسلوبه من القرآن الكريم، فالانطلاقة كانت قصدية، أي ترمي إلى هدف ما وهو الحفاظ على اللغة العربية، ولكن الشاعر يتلاعب باللغة مثلما يشاء .

إن تأثير الجانب الديني على لغة الشاعر الجزائري المعاصر وبالأخص عز الدين ميهوبي يتجلى في معظم قصائد ديوانه، هذا ما يدل على تمسك الشاعر بعقيدته و بلغته، وكان لابد من الحديث عن هذا العامل باعتباره مهيما على الديوان.

إن الحديث عن لغة عز الدين ميهوبي يقودنا إلى تحليل هذه اللغة و طبيعتها و ميزتها، فإذا تعمقنا في اللغة التي كتب بها الشاعر، نلمس أنه نوع بين اللغة العربية الفصيحة و اللغة العامية، ومن الأمثلة التي وردت في الديوان باللغة الفصيحة قوله:

إن تزر في الخلد جنات فهذي

جنة أخرى.. وإن ظلت ركاما!(6)

ومن الأمثلة التي وردت باللغة العامية قوله:

و الأرض نازفة

- يا بخصة -العرب!

(يا) (وخدة) العرب!! (7)

فالمكان إذن مرتبط بالمكانية في الأدب، لأن كلاهما يشتركان في ذكريات الإنسان، فالأول هو الوسط الذي ولد فيه الإنسان و الذي يحوي بدوره على ذكريات له، أما الثانية فهي مقتصرة في الأدب (المكانية) و هي مرتبطة بهذا الأدب تحوي بدورها على ذكريات .

كما يحيل مصطلح المكان إلى مصطلح موازي له وهو الفضاء، فبالرغم من التداخل الاصطلاحي بينهما إلا أن المكان يتسم بالواقعية وبمجرد دخوله العالم الشعري التخيلي يتحول إلى فضاء دلالي مفتوح للدلالات، ومن هنا إن الفضاء يتسم بالاتساع ولا يرتبط فقط بالحيز الهندسي المحدود الأبعاد، وإنما هو مرتبط بالأفق الرحب(3) فالفضاء مرتبط بالعمل الفني(القصيدة الشعرية)، فالسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو كيف يحول الشاعر المكان بطبيعته الواقعية المحدودة إلى فضاء فني تخيلي وكيف يرتبط بالتقنيات الجمالية الموجودة على مستوى النص الشعري؟

2- المكان واللغة:

إن المكان مرتبط باللغة ارتباطا وثيقا، فكل مكان له لغته الخاصة به التي تميزه عن باقي الأمكنة، وقبل التطرق إلى هذه النقطة تجدر الإشارة إلى تأثير عامل آخر على اللغة، وهو العامل الديني الذي أثر بشكل كبير على اللغة التي يكتب بها الشاعر الجزائري المعاصر عامة وعز الدين ميهوبي خاصة، إذ يظهر أثر القرآن الكريم جليا في ديوانه" في البدء.. كان أوراس"، هذا ما يدل على لجوء الشاعر الجزائري إلى القرآن الكريم حفاظا على اللغة الأم في شعره،

إن إقحام اللغة العامية دليل على تأثير المكان على اللغة، هذا ما أكدته فتحية كحلوش في قولها: "ومن مظاهر تأثير المكان في اللغة استعمال بعض الأسماء أو المفردات المقتطفة من ذلك المكان" (8).

إن المكان يؤثر بشكل أو بآخر على لغة الشاعر التي يكتب بها، فاللغة إذن هي المادة الخام التي ينطلق من خلالها الشاعر، وهي متعلقة بنفسيته و بالمكان الذي يحيط به، إذ يؤثر في التكوين النفسي للشاعر، وهذه النفسية تنعكس على اللغة التي يعبر بها هذا الأخير، بحيث "ينطلق يوري لوتمان في تحليله للمكان الفني من مقولة أساسية مؤداها أن اللغة هي النظام الأولي لتحويل العالم إلى أنساق" (9)

إن اللغة هي الأداة التي تحول الشيء العادي المألوف إلى نسق يحمل أبعادا شتى، فقلوبه "وخذه، بخصه" دليل على توظيف اللهجة الجزائرية في ديوانه ضمن نسق شعري، كما نلمس تداخل مجموعة من العناصر: المكان، الشاعر و اللغة.

يتجلى تعلق المكان باللغة من زاوية أخرى، وهي كلما كان الشاعر مرتاحا و منجذبا و متأثرا بمكان ما، كلما أصبحت لغته لغة إبداعية بتحفيز من ذلك المكان، باعتبار أن اللغة هي التفكير، وهي التخيل، بل لعلها المعرفة نفسها، بل هي الحياة نفسها، فمن غير المعقول أن يفكر الإنسان دون لغة (10).

إن تأمل الشاعر للمكان باستمرار يسهم في رقي لغته، فتصبح لغة شعرية أو ما يسمى " اللغة الحاملة، إنما تبسط من المعاني ما تتحطم فيه

حدود المحسوسات، وما يطفو على شبح الخيال" (11).

إن اللغة الإبداعية مرتبطة بالخيال، الذي يضيف عليها أبعادا فنية في النص الشعري، فاللغة الإبداعية قابلة للتغير بحكم الخيال، وبحكم الحرية الفنية، فالأديب يلعب بلغته و يحملها معاني جديدة. (12)

إن المبدع المتمكن هو الذي يستخدم ظاهرة الانزياح في توظيفه للمكان، لكي يقضي على واقعه و بعده الجغرافي، ويجعل منه فضاء جماليا، " فالانزياح هو الذي يحكم اللغة الأدبية (13)"، لأنه عنصر مهم للخروج عن المألوف، وهو المعيار الذي يميز بين اللغة الإبداعية و اللغة العادية.

إذا تأملنا هذا الديوان، نجد أن الشاعر و باللغة الإبداعية التي كتب بها، عمد إلى استخدام الانزياح، إذ تلاعب باللغة مثلما يشاء، فتارة يكتب بلغة تعوزها الكثافة الدلالية في قوله:

إني ولدت .. وفي الشفاه تجذرت

حمى الشهادة و المقام الأنعم (14).

كما كتب الشاعر بلغة سهلة بسيطة، و لكنها تحمل كثافة دلالية عميقة كقوله:

تجيء الخيول..

وتسقط غرناطة

و(ابن عمار) يشرب آخر أقداحه

يترنح..

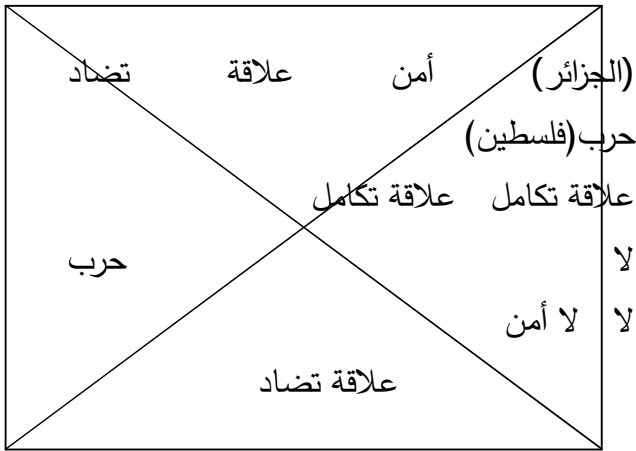
و تسقط كل العصور..

وكل القبور..

وكل القصور..

وكرم الخمور (15).

فإذا طبقنا في هذا الصدد المربع السيميائي الذي جاء به غريماس، و الذي يهدف إلى تحديد العلاقات بين العناصر و إخضاعها لنظام منطقي، نجد أن المكانين (الجزائر و فلسطين) هما عنصران تجمع بينهما علاقات مختلفة. يمكن تمثيل النموذج السيميائي لتوضيح العلاقات التي تجمع بين المكانين، علما أن الجزائر تمثل الأمن وفلسطين تمثل الحرب:



يمكن توضيح العلاقات كالتالي:

- 1- علاقة تضاد و تناقض: وذلك من حيث وضعية و حالة المكان، فالجزائر تنعم بالأمن و الاستقرار، أما فلسطين فهي في حالة حرب، فالأمن و الحرب هما مفهومان متضاربان.
- 2- علاقة تكامل: و تظهر هذه العلاقة من حيث النزعة الإنسانية والعلاقة الوطيدة بين الشعبين. إن العلاقة بين المكانين تكون إما ايجابية أو سلبية، " فيمثل التعقيد السيميائي للثنائية و نقيضتها في المربع شكلا تمثيلا لتعقد العلاقات" (19).

نستنتج أن المربع السيميائي يهدف إلى تحليل أعقد مستويات الدلالة، وهو المستوى السيميائي، وتلك العلاقات تتسم بالتعقيد، فهي متداخلة و المهم في هذا المربع هو وصف تلك العلاقات

يعد ديوان عز الدين ميهوبي وعاءا ضم الشكل العمودي و الحر، و هذا المزج فيه جمالية، وكأن الشاعر مزج بين القديم و المعاصر، فتارة نجد في القصيدة الواحدة مقاطع في شكل الشعر الحر، و مقاطع أخرى جاءت على شكل تقليدي، ولكن المهم هو اللغة الإبداعية التي عبر من خلالها الشاعر عن أفكاره و أحاسيسه" فاللغة انسجام و تناغم و نظام، و اللغة الإبداعية نسج بديع يبهل و يسحر، و لعل الأديب الكبير هو الذي يعرف كيف يتلطف على لغته" (16).

3- المكان و الدلالة:

تعد الدلالة من أهم المحاور التي تطرق إليها النقد منذ القديم، فالمدارس النقدية التفتت إليها، بعضها درسها بسطحية، و البعض الآخر جسدها كمنهج في الدراسة، ونخص بالذكر " المدرسة السيميائية"، فهي تعد نظرية للدلالة، تهتم بدراسة أنظمة و مستويات الدلالة من جهة، كما تدرس العلامة و علاقتها فيما بينها، و علاقتها بين مستخدميها من جهة أخرى.

إذا اعتبرنا المكان علامة فهو يحمل إذن دلالة، و اختلاف الأمكنة يصحبه اختلاف الدلالات، و الديوان يتسم بكثرة الأمكنة و تزاممها، ومن هنا نلمس أن الأمكنة المختلفة تجمع بينها علاقات متعددة، ومثال ذلك (الجزائر و فلسطين)، يقول الشاعر مفتخرا بالجزائر:

جزائر.. يا نبضة من شموخ..

ويا بسمة تستخف دجايا.. (17)

كما يقول متحسرا على الواقع المر الذي تعيشه فلسطين:

وطني أنخابهم.. فاضت.. وفاضت

دمعة القدس .. كشلال.. تداعى! (18)

إذا تأملنا الجزء الأول من الديوان الذي يحمل عنوان "قصائد سقطت من عاشق للأرض و الأوراس"، نجد أن الشاعر كرر في مجمل قصائد هذا الجزء الأماكن التالية: الأوراس، الأرض، الوطن و الجزائر، ففي قصيدة "وتنفس الأوراس" كرر الأوراس ستة مرات يقول مثلاً:

أوراس! فجرني هواك.. وما درت

هذي الضلوع بأن جمر ك ملهم!

أوراس! مالك لا تبوح بما رأيت

عيناك.. أم إن الملاحم مغنم!

أوراس يلتحف الشهيد.. بصخره..

وتطير من كف الشهيد الأسهم! (24)

أما في قصيدة "آخر الكلمات" فكرر الأوراس ثلاث مرات قائلاً:

أوراس..

جنئك مرتين..

وما عشقت سوى شموخك..

أوراس يقرأ آخر الكلمات

فاتحة الكتاب.. (25)

أما في قصيدة "الوطن" فقد كرر الشاعر الوطن ثمانية مرات، و الأرض تسع مرات، و الجزائر ثلاث مرات يقول مثلاً:

ويصرخ الوطن المكلوم.. يا وطني

تقيحت كلمات الأرض و البلد!

تسامر الوطن المفتون.. تملاًه

ضياء فجر.. يشق الليل.. للأبد!

جزائر الزمن الشعري.. أحضنها

وهل ضلوعي بحجم الأرض يا ولدي؟!

جزائر الحلم الوردي.. يا وطني

أفي الدواة.. بحور الشعر لم ترد؟! (26)

المختلفة بين العناصر (الأماكن)، فتارة تكون علاقة اتصال (علاقة ايجابية)، وتارة أخرى تكون علاقة انفصال (سلبية).

وإذا أسقطنا هذا المفهوم على وصف العلاقات بين الجزائر و فلسطين مثلاً، نجد أن هناك علاقة اتصال (تكامل) بين المكانين من عدة زوايا كالعروبة، الإسلام، المحبة بين الشعبين ومساندة الجزائر للقضية الفلسطينية، وعلاقة انفصال (تضاد و تناقض) من حيث الوضعية الأمنية للبلدين.

4- المكان و التكرار:

إن بنية الشعر المعاصر مختلفة تماماً عن بنية الشعر القديم، " حيث أصبحت القصيدة المعاصرة بنية حية معقدة ومركبة" (20)، وذلك راجع إلى إقحام الشاعر لتقنيات جديدة لعل أبرزها التكرار، إذ " يعد سمة أساسية في الشعر الجزائري المعاصر، بحيث يمكن القول بأنه (لازمة) من اللوازم الجمالية التي اعتمد الشعر عليها بشكل مبالغ فيه أحياناً سواء على مستوى المقطع أو القصيدة كلها" (21)، هذا ما نلمسه عند عز الدين ميهوبي في ديوانه، إذ استخدم التكرار بكثرة على مستوى القصيدة أو الديوان ككل، هذا ما يدل على أن " التكرار يعد من أهم الوسائل الفنية في النص الشعري الحدائي" (22)

لقد قام الشاعر بتكرار عدة كلمات أو بالأحرى عدة أماكن في القصيدة، وهذا التكرار لم يكن اعتباطياً، فتكرار الكلمة يعد أحد الأسس التي ينبني عليها النص الشعري الحدائي، إذ يمنح القصيدة الحدائية سيروية للأحداث وتتابعها، مما يجعل أكثر أشكال التكرار تداخلاً مع تكرار الصورة" (23).

تكنم في توظيفه المناسب في القصيدة، وجماليته مرتبطة بجمالية المكان، لأن تكرار مكان ما عدة مرات يعني أن صورة ذلك المكان تتجدد في كل مرة.

نلمس نوعاً آخر من التكرار في الديوان وهو تكرار الجملة، إذ يأتي بأشكال متباينة فقد يكون متتابعاً أو في بداية القصيدة أو في نهايتها (29)، هذا ما ترجمته قصيدة "عشرون عاصمة" يقول:

يا لعنة الزمن في عالم المحن!
يا لعنة الزمن في عالم الفتن! (30)
يقول كذلك:

يا هيئة الأمم
يا حلوة النغم!
يا هيئة الأمم
يا عصابة الغنم! (31)
ويقول في القصيدة نفسها:

عشرون عاصمة
بيعت بلا ثمن
عشرون عاصمة
أودى بها الجرب
عشرون عاصمة
للعار تنتسب
عشرون عاصمة
يلهو بها الطرب
عشرون عاصمة
حبلى بنهر دم
عشرون عاصمة

تدنو من الكفن (32)

إن هذه القصيدة ترجمة لأوضاع العرب حالياً، وكيف استغلت هيئة الأمم هذه الأوضاع لصالحها، وهذا التكرار دليل على تعلق الشاعر

وفي قصيدة "وطن تائه" فقد كرر الوطن خمساً وعشرين مرة يقول:

وطن يصدر من مدامعه الرجولة و الأنوثة
و السياسة و الزعامة و الفتن..

وطن يفتش بين أوردة المواجه..

عن بقية اسمه المنقوش في شفة الصغار..

وطن يفتش عن وطن..

و الحل يعرفه الكبار.. (27)

إن تكرار هذه الأمكنة التي ترتبط بالشاعر ارتباطاً وطنياً وثيقاً، يدل على رغبة الشاعر الكبيرة و حرصه على التعبير عن نزعته الوطنية وشدة تعلقه بالأرض و الوطن، فبالرغم من ورود أمكنة أخرى في هذه القصائد كالقدس مثلاً، إلا أنه لم يكررها و تركها للجزء الأخير من الديوان الذي يحمل عنوان "القدس وكلام آخر" لكي يعبر عن نزعته القومية العربية.

ففي قصيدة "وطني القدس على جفني تنمو"

كرر القدس عشر مرات يقول مثلاً:

وطني..القدس على جفني تنمو

قدرا.. يورق كالأرز افتراعاً!

وزرعت الزمن الأخضر.. ثوباً

أزلياً.. قد كسا القدس التماعاً!

وتلاشى زمن الحزن بعيداً

ومضى.. يمتشق القدس.. ذراعاً! (28)

إن هذا التكرار دليل على اهتمام الشاعر بالقضايا العربية، وبالأخص القضية الفلسطينية، وكأنه يريد القول "أنقذوا القدس يا أصحاب الضمائر"، فتكرار المكان إذن لم يأت اعتباطياً، ولم يوظفه الشاعر لسد الفراغ في القصيدة، وإنما مرتبط بالرسالة التي يريد الشاعر إيصالها، وعلى هذا الأساس فإن جمالية التكرار

بأتمته، و تأسفه على ما حل بها من دمار و خراب ونفاق وفتن، فهو يصر على التغيير بشكل أو بآخر" وإن ما كان يغيظ الشاعر هو تقدم العالم بأسره و لاسيما الغرب وحفاظه على دينه واستلهم تراثه، بينما بنو جلده من المسلمين تركوا دينهم و إسلامهم"(33)

كما يدل هذا التكرار على حرقه الشاعر وألمه على فقدان الأمن و الهناء في وطنه العربي، وعلى هذا الأساس فقد جسد ثنائية الحضور و الغياب،" فالغياب تنبأه أبناء البلد العربي وكل ما يمثلهم"(34)، كالطرب والفتن وغيرها من مظاهر الفساد، أما الحضور فيكمين في تكرار هيئة الأمم أي سيطرة أمريكا على العرب وبالأخص فكريا.

لقد قام الشاعر بتكرار المكان القريب إليه وهو الأوراس، إذ لا تخلو قصيدة من هذا الديوان إلا و ذكر فيها هذا المكان - ماعدا بعضها - وهذا دليل على حرص الشاعر و اهتمامه بالأوراس، وشدة تعلقه به وبطبيعته وبتاريخه، لذلك فإن التكرار يشي - على مستوى الدلالة و الرمز - بأن الشاعر يريد أن يؤكد على بعض المعاني" (35) كأن يؤكد ويصر على تمسكه الشديد بالجزائر عامة و بالأوراس خاصة.

نستنتج أن التكرار يعد من أهم العناصر الجمالية في القصيدة، فلعل أهم الأدوات اللغوية التي باستطاعة المتكلم أن ينزاح بفضلها عن القوالب الجاهزة، ظاهرة التكرار وهي أسلوب من الأساليب التعبيرية التي تقوي المعاني و تعمق الدلالات، فترفع من القيمة الفنية للنصوص بما تضيفه عليها من أبعاد دلالية و موسيقية متميزة(36).

فالتكرار إذن يعد من الأساليب التي يوظفها الشاعر، وذلك لتحقيق هدف يرمي إليه بحيث يكون قصديا، لتأكيد معنى أو فكرة ما ويعطيها دلالات وأبعادا عميقة، و الشاعر عز الدين ميهوبي عمد إلى هذا الأسلوب في ديوانه بشكل كبير، و بالخصوص تكرار الأمكنة، إلى درجة أنه استخدمها في العنوان ثم كررها في القصيدة، وهذا دليل على تعلق الشاعر بالمكان.

5- تنوع الأمكنة:

تعد سمة التنوع في استخدام الأمكنة من أهم سمات الشعر الجزائري المعاصر، إذ لا يكفي الشاعر بذكر مكان واحد فقط، وإنما ينوع في إدخال الأمكنة المختلفة، وكأن الديوان أو القصيدة بمثابة خريطة جغرافية تضم أمكنة عديدة، ونلمس أن هناك ترتيبا في توظيف الأمكنة في الشعر الجزائري المعاصر، فقد احتل المكان الجزائري المرتبة الأولى، ثم المكان العربي في المرتبة الثانية، ثم المكان الإفريقي في المرتبة الثالثة، وفي الأخير المكان الغربي والأوروبي(37).

إن هذا التنوع في الأمكنة موجود في ديوان" في البدء.. كان أوراس"، حيث مزج الشاعر بين الأمكنة المحلية الوطنية(الجزائرية)، و العربية وحتى الغربية، وكأن الديوان في هذا الصدد دائرة مغلقة تتوسع شيئا فشيئا، ففي البداية انطلق الشاعر من الجزائر وما فيها من أمكنة و بالضبط الأوراس، الذي يعد مكانا مهما بالنسبة للشاعر،" فقد شكل الأوراس - المكان/ الرمز - محور العديد من النصوص الشعرية الجزائرية، بل كان محورا لدواوين بأكملها"(38).

لقد حاول الشاعر إعادة الاعتبار للأوراس، لأن هذا المكان أصبح اليوم بالنسبة للجيل الجديد

مكانا عاديا (39)، فهم لا يدركون قيمة هذا المكان ويجهلون أنه بؤرة الثورة التحريرية التي هم ينعمون بالهناء بفضلها.

أراد الشاعر من خلال ديوانه إيصال فكرة موجهة إلى الشباب، وهي أن الأوراس هو منطلق الحرية، "فجعل الأوراس إحالة مرجعية و عنوانا لديوانه الأول في البدء .. كان أوراس" (40).

يقول الشاعر في القصيدة الأولى من هذا الديوان، و التي عنوانها "في البدء ..":
أوراس! يا لغة الزمان

ويا فما .. متفجرا! (41)

وقال أيضا: أوراس! فجرني هوك.. وما درت

هذي الضلوع بأن جمرك ملهم! (42)

لقد تردد الأوراس في مجمل قصائد الديوان، وهذا دليل على مدى تعلق الشاعر به حتى وصل به هذا التعلق إلى عنونة الديوان بهذا المكان، كما ذكر الشاعر -إضافة إلى الأوراس - أمكنة جزائرية أخرى كمعسكر مثلا حين قال:

هذي - معسكر - قد صاغت إمارتها
من مقلتيك.. فلا تغمضهما الآن! (43)

فحديثه عن معسكر هو حديث عن الأمير عبد القادر الذي تغنى به وقام برثائه في قصيدة الأميرية حين قال:

أين الأمير؟ و أين السفر؟ أين خطي..
نمت بصدري .. فجد الشعر قد حانا (44)

كما ذكر الشاعر بلاد القبائل "جرجرة" مفتخرا بها و بأهلها، ومساهمة سكان القبائل في تحرير البلاد، قال:

و شمس -جرجرة - الشماء طالعة

تقبل الوجنات الحمر .. كالغيد!! (45)

إضافة إلى بسكرة، الجزائر العاصمة... إلخ، وهذا التنوع في الأمكنة الجزائرية يدل على انفتاح الشاعر على أمكنة جزائرية متعددة، كما يدل على الانتماء المتعدد لكل مكان في الجزائر (46).
لقد تجاوز الشاعر الأمكنة الجزائرية إلى الأمكنة العربية و الإسلامية، وهذا دليل على اهتمام الشاعر بالنزعة القومية، فهذا الديوان مقسم إلى ثلاثة أجزاء: الأول وطني النزعة، الثاني قومي النزعة، أما الثالث فهو فلسطيني النزعة، فالأول تناول الأمكنة الجزائرية بعنوان "قصائد سقطت من عاشق للأرض و الأوراس"، و الثاني يحمل عنوان "قصائد خارجة من عصار الجرح"، وهنا ركز الشاعر على الدول العربية كبيروت مثلا في قوله:

بيروت باركها -شارون - باللهب! (47).

فبيروت صمدت بالرغم من الأزمات و المآسي و الانشقاقات التي طرأت عليها، "فهي رمز مدينة عربية صامدة" (48)

كما ذكر فلسطين، مصر و لبنان:

كانت -فلسطين و الجولان - كان هنا و -مصر -
كانت وكان الأرز -لبنانا - (49)

الشاعر لم يتطرق إلى كل البلدان العربية، وإنما تطرق إلى التي كانت أوضاعها مزرية، فالتركيز على القدس، بيروت، بغداد نتيجة لما تحمله تلك الأمكنة من دلالات و مأساة (50).

أما الجزء الأخير من الديوان فهو بعنوان "القدس وكلام آخر"، حيث ركز الشاعر على القدس و خصص لها جزءا كبيرا من ديوانه، وهذا دليل على تعاطف الشاعر مع الشعب الفلسطيني و القضية الفلسطينية ككل، قال:

يا قوم.. إن القدس.. نائحة هل من صلاح
يمنع السفر؟ (51)

"فالحقيقة أن القدس تعد المكان الإسلامي الذي كثرت فيه قصائد الشعراء الجزائريين المعاصرين، لأنه المكان المفقود الذي تحول إلى رمز ديني" (52)، فالديوان إذن ضم دولا عربية متعددة، فبالرغم من الأوضاع القاسية التي يعيشها الشاعر في وطنه، إلا أنه لم ينس معاناة إخوانه العرب فهو يحمل نزعة إنسانية عميقة.

أما فيما يخص المكان الغربي، فهو قليل أو شبه نادر، و بالخصوص في هذا الديوان فلم يحظ المكان الغربي بمساحة شعرية معتبرة في المتن الشعري الجزائري المعاصر مقارنة بالمكان المحلي و العربي" (53).

فإذا تعمقنا في الديوان نجد أن عز الدين ميهوبي أدخل مكانين غربيين فقط، وهما فرنسا في قوله:
هنا تهاوت فرنسا في مقاصرها و أصبح
العنق المغرور في المسد (54)

إضافة إلى أمريكا التي صرح بها بطريقة غير مباشرة بهيئة الأمم، وذلك في قصيدة "عشرون عاصمة"، قال:

يا هيئة الأمم يا عصبة الغنم (55).

فرنسا ترمز إلى المستعمر، المغتصب، الظالم و العدو، عموما" فالمكان الغربي في معظم السياقات التي جاء فيها مكان معاد" (56).

إن سمة التعدد في الأمكنة موجودة في الشعر الجزائري المعاصر، ولكن ما يهم هو طريقة توظيف تلك الأمكنة و كيفية التعامل معها و ليس ذكرها جغرافيا فقط (57)، أي أن يلعب الشاعر بتلك الأمكنة بطريقة فنية جمالية،

تخرجها من إطارها الهندسي الواقعي، وذلك عن طريق جملة من العناصر كاللغة و الصورة مثلا.
وفي هذا الصدد نجد أن " هذا التنوع و التعدد بغض النظر عن وظيفته و إضافاته الجمالية، أعطى النص الشعري الجزائري دما جديدا و رافدا آخر للكتابة الشعرية" (58)، فهذه السمة إذن زادت من جمالية النص الشعري الجزائري المعاصر، فكلمنا انتقل الشاعر من مكان إلى آخر تغيرت نفسيته، كما أن كل مكان لديه بعد خاص به، فتداخل الأمكنة يعني تداخل الأبعاد و الخلفيات،" فاختلاف الأمكنة الجغرافية التي نسكنها تصحبه اختلافات على الأصعدة النفسية و الاجتماعية و الإيديولوجية" (59).

6- خاتمة:

يتضح مما سبق أن النص الشعري المعاصر متداخل العناصر، فتوظيف المكان في القصيدة الشعرية يكسبها دلالات جملة وجمالية خاصة لأن هذا الأخير يفقد خاصيته الواقعية ويدخل عالم الخيال عن طريق اللغة الشعرية التي تتحكم في جمالية النص إلى حد بعيد، كما أن المكان يرتبط بعناصر وتقنيات كالتكرار مثلا.

8- الهوامش و الإحالات:

1 ينظر: غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط2، لبنان 2006، ص6.

2. المرجع نفسه،

3. ينظر فتحية كلوش، بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري، مؤسسة الإنتشار العربي، ط1، لبنان 2008 ، ص24.

4. ينظر: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، الشعر و الهوية القومية، منشورات التبيين الجاحظية، دط، الجزائر 1999. ص38.

33. محمد الصالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر و التوزيع، ط1، لبنان 2005. ص58.
34. نبيلة تاويريرت، حادثة التكرار، ص36.
35. طه وادي، جماليات القصيدة المعاصرة، ص 116.
36. ينظر: نندوقة فوزية، جماليات التكرار في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة المخبر، العدد5، 2009 ص 70
37. ينظر: محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، كلية الآداب و اللغات، جامعة منتوري، قسنطينة 2006/2005، ص63.
38. المرجع نفسه، ص 67.
39. ينظر: المرجع نفسه، ص 67.
40. محمد الصالح خرفي، المرجع السابق، ص 68.
41. عز الدين ميهوبي، الديوان، ص 13.
42. المصدر نفسه، ص 18.
43. المصدر نفسه، ص 86.
44. المصدر نفسه، ص79.
45. عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص63.
46. ينظر: محمد الصالح خرفي، جماليات المكان، ص 76.
47. عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص 237.
48. محمد الصالح خرفي، المرجع السابق، ص 88.
49. عز الدين ميهوبي، الديوان، ص 85.
50. ينظر: محمد الصالح خرفي، جماليات المكان، ص 96.
51. عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص 192.
52. محمد الصالح خرفي، المرجع السابق، ص 82.
53. محمد الصالح خرفي، المرجع السابق، ص 100.
54. عز الدين ميهوبي، الديوان، ص 62.
55. المصدر نفسه، ص 236.
56. محمد الصالح خرفي، المرجع السابق، ص 101.
57. ينظر: المرجع نفسه، ص 63.
58. محمد الصالح خرفي، المرجع السابق، ص63.
59. فتحيه كحلوش، بلاغة المكان، ص 145.
5. عز الدين ميهوبي، ديوان في البدء ..كان أوراس، دار الشهاب للطباعة و النشر، ط1، الجزائر 1983، ص 62.
6. المصدر نفسه، ص39.
7. المصدر نفسه، ص 237.
8. فتحيه كحلوش، بلاغة المكان، ص 288.
9. يوري لوتمان و آخرون، جماليات المكان، عيون المقالات دار قرطبة، ط2، المغرب 1988، ص 64.
10. ينظر: عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار الغرب للنشر و التوزيع، د ط، الجزائر 2005، ص 139.
11. لطفي عبد البديع، الشعر واللغة، دار المريح للنشر، د ط، السعودية 1990، ص 199.
12. ينظر: عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 142.
13. المرجع نفسه، ص 142.
14. عز الدين ميهوبي، الديوان، ص 20
15. عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص 208.
16. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 168
17. عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص 208.
18. المصدر نفسه، ص 168
19. محمد فكري الجزار، لسانيات الاختلاف، الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة، إيتراك للنشر و التوزيع، ط2، مصر 2002، ص 151-152.
20. طه وادي، جماليات القصيدة المعاصرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، لونغمان 2000 ص 15.
21. المرجع نفسه، ص 116.
22. نبيلة تاويريرت، حادثة التكرار ودلالاته في القصائد الممنوعة لنزار قباني، مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، العدد 4، 2012، ص 30.
23. نبيلة تاويريرت، المرجع السابق، ص 34.
24. عز الدين ميهوبي، الديوان، ص 18-19.
25. المصدر نفسه، ص 27-28.
26. عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص 58-63.
27. المصدر نفسه، ص 92.
28. عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص 162.
29. ينظر: نبيلة تاويريرت، حادثة التكرار ودلالاته في القصائد الممنوعة لنزار قباني، ص 40.
30. عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص 235-238.
31. عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص236.
32. المصدر نفسه، ص235_238